أخطاؤنا في معالجة أخطاء الأبناء

• العنف والقسوة مع الابن :

يظن البعض أن استعمال أسلوب العنف والقسوة هو الحل الأمثل لعلاج أخطاء الطفل ، ويقول أن العنف هذا سيجعل الطفل يخاف من العقاب فلا يأتى الطفل الخطأ ، وهنا لابد أن نوضح أمراً هاماً وهو أن هناك فرقاً بين عقاب الطفل ، وبين استخدام العنف والقسوة خلال هذا العقاب ، فالعقاب له أساليب مختلفة وليس أسلوباً واحداً ، كما أن استخدام الضرب كأحد الوسائل العقابية للطفل لا يعنى أيضاً العنف والقسوة ، فضرب الطفل له شروط وليس كضرب الحيوان مثلاً ، وحتى الحيوان فإن الرسول ﷺ أمرنا بالرحمة به .

وإن كان الإسلام قد أقر الضرب كأحد الوسائل العقابية للطفل فقد جعله مشروطاً بسن معين وبضوابط معينة ، فمثلاً حين يقول رسول الله ﷺ : « **علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع** » [(١)] ، فإن الضرب هنا قد اشترط فيه بلوغ الطفل عشر سنين ليس أقل من ذلك ، وهو ضرب نهر وتأديب لعدم النسيان أو التكاسل عن الصلاة ، وليس ضرباً مبرحاً أو عنيفاً ، ومن شروط هذا الضرب ألا يكون فى مكان مؤثر كالضرب على الوجه أو البطن أو الرأس ونحو ذلك ، لأنَّ الضرب فى هذه الأماكن قد يؤذى الطفل إيذاءً شديداً ، ولكن لنضربه على اليد ، كما أن الضرب على الوجه ممنوع فى الإسلام لأن فيه امتهاناً لكرامة

---

(١) رواه الدرامى (١٤٠٣) وابن خزيمة (١٠٠٢) والحاكم (٩٤٨) وصححه .

الإنسان ، وهذا لا يرضى عنه الله تعالى ، وفى حديث رسول الله ﷺ : « **لا تضرب الوجه ولا تقبح ...** » (١) .

والحديث إن كان خاصاً بمعاملة الرجل زوجته إلا أنه يبين أن ضرب الوجه غير جائز لأنه مثل التقبيح أو الشتم وهو يمثل إهانة للإنسان ، وليست الإهانة هدفاً للعقاب فى الإسلام يتم السعى إليه ، إنما هدف العقاب هو ردع المعاقب وتقويم سلوكه واعوجاجه ، وقد يظن البعض أن المطلوب القسوة مع الأبناء حتى يشبوا على طاعة الأوامر ، وهذا غير صحيح ، فالأصل فى معاملة الطفل الرحمة به ، وإظهار الحب والعطف والحنان له ، وإشعاره بذلك ممن حوله وبخاصة الوالدين ، ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع المثل فى حب الأولاد والعطف عليهم وإحسان معاملتهم ، يقول أبو بريدة : « **كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال: صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** [التغابن : ١٥] ، **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما** » (٢) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « **كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، وإذا رفع يده أخذهما بيده من خلفه ، أخذاً رفيقاً ، ويضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته ، أقعدهما على فخذيه ، قال : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله**

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٢٠) وأبو داود (١٢٤٢) والنسائى (٧١٩١) والبيهقى فى الكبرى (١٥١٤٦).
(٢) سنن البيهقى الكبرى (٥٩١٣) صحيح (٣٧٥٧) صحيح الجامع .

أردهما ؟ ، فبرقت برقة ، فقال لهما : الحقا بأمكما ، قال : فمكث ضوءهما حتى دخلا » (١) .

إنها رحمة رسول الله ﷺ بالعيال والصبيان ، وهى رحمة ورثها أصحابه رضوان الله عليهم ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف بشدته يدخل عليه الأقرع بن حابس فيجده يقبّل أحد أولاده ، فيتعجب الأقرع بن حابس لذلك ، ويقول لعمر أتقبّل الصبيان ؟! ، إن لى عشرة أولاد ما قبّلت منهم واحداً ، فردَّ عليه عمر قائلاً : وماذا أفعل إن نزع الله الرحمة من قلبك ؟! .

فالرحمة خلق الإسلام كالعدل والإحسان، والله تعالى يقول عن نبيه ﷺ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، فديننا دين الرحمة ، ودستورنا دستور الرحمة ، ففى الحديث الصحيح :« **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء** » (٢) .

وعلماء التربية بصفة خاصة لا يقرون استخدام أسلوب العنف أو القسوة فى تربية الأبناء ، لما له من مضار جسيمة على أخلاق الطفل ، والتى قد تمتد معه لسنوات عمره المتأخرة ، وهذا ما يؤكده العلامة ابن خلدون – رائد علم الإجتماع – حيث يقول فى مقدمته ما نصه : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس فى انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدى بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة ، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معانى الإنسانية التى له ، إن من يعامل بالقهر

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٠٢٨١) .

(٢) رواه بهذا اللفظ الحاكم (٧٢٧٤) وصححه ، والترمذى (١٩٢٤) وقال : « حديث حسن صحيح » وأبو داود (٤٩٤١) والبيهقى فى الكبرى (١٨٤٠٧) ، وفى الشعب (١١٠٤٨) وغيرهم .

يصبح حِملاً على غيره ، إذ هو يصبح عاجزاً عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوّه من الحماسة والحمية على حين يقعد عن اكتساب الفضائل ، والخلق الجميل ، وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى إنسانيتها »[١] .

إن أسلوب البطش والقهر ليس أسلوباً تربوياً ولا يمكن أن يكون كذلك ، إنه أسلوب العاجز عن التعامل مع الطفل ، ولكى تتعامل مع الطفل بطريقة صحيحة يجب عليك أن تقرأ عن الطفل وعن نفسيته ، وعن صفاته ومراحله العمرية المختلفة حتى تفهم طبيعته ، ثم عليك أن تتحلى بالصبر والصبر الجميل ، وأن تكون رفيقاً ، فالرفق خلق من أخلاق الإسلام العظيمة .

• عدم تقدير عقلية الطفل :

بعض الآباء يقابل أعمال الابن بنوع من الاستهزاء والسخرية ، ولا يقدر آراءه وأفكاره ، وربما يضحك من كلام الطفل ، وهذا الأمر وإن كان لا يؤثر كثيراً على الآباء إلا أنه يسبب لهم فى المستقبل أثراً خطيراً حين يرون هذا الطفل وقد أصيب بالإحباط من كثرة سخرية الأب منه أو الأم ، وتضمحل قوى هذا الطفل الذهنية ، ولا يحاول أن يفكر كثيراً أو يبدع .

وعلى سبيل المثال إذا قام الطفل بكتابة أبيات من الشعر ، وقد تكون هذه الأبيات غير موزونة وركيكة ، لكن هذا الطفل قد يشعر بالزهو والفرحة بعد كتابة تلك الأبيات ، فإذا قام الطفل بعرض هذه الأبيات على الوالدين فقام الوالدان بالسخرية منه وقالا : إن هذه الأبيات غير موزونة وركيكة ، فإن الطفل بلا شك سوف يصاب بالإحباط ، ويكون الوالدان هما السبب فى قتل موهبة هذا الطفل ، والصواب الذى ينبغى أن يفعله الوالدان تجاه هذا الطفل وكتاباته

---

(١) « مقدمة ابن خلدون » نقلاً عن « تربية الأولاد فى الإسلام » د . عبد الله ناصح علوان .

هو أن يقوموا بتشجيعه ويمدحان فعله ، ويقولان له : إن هذه أبيات جميلة ، ولكنها تحتاج للوزن والقافية ثم يوجهانه التوجيه السليم نحو تعلم أوزان الشعر وممارسته ، ويطلبان منه الاستمرار فى كتابة الشعر كلما استهوته نفسه لذلك مع الذهاب إلى المكتبة والاطلاع على الشعر الجيد ، والتعرف على الشعراء الموهوبين والإستفادة من خبراتهم ومصادقتهم .

فتشجيع الطفل أمر ضرورى جداً وفى غاية الأهمية ، ومما يفيد فى هذا الأمر أن نعطى الطفل أعمالاً معينة نحن نعلم أنه يستطيع القيام بها ، ثم نمتدح فعله هذا ، وبهذا نزرع له الثقة فى نفسه ، وعدم التزعزع أو التردد .

إن الطفل حين يتعلم يخطئ كثيراً ، وهذه الأخطاء لابد منها للتعلم ، ولا تستحق العقاب أو السخرية والإستهزاء ، وقد تكون بعض الأخطاء شرفاً للطفل ، ودليل ذكاء ، وليس غباء ، فالطفل الذى يحاول أن يرسم عملاً فنياً معيناً فيأتى بعناصره متكاملة لكنه يخطئ فى مكونات هذا العمل الفنى ، فيرسم بعض الرسومات مشوهة مثلاً ، هذا الطفل لم يخطئ لأنه سبق أقرانه فى فهم عناصر العمل الفنى ، فقام برسم موضوع متكامل ، لكن لقلة خبرته فى الرسم لم يحسن رسم عناصر هذا الموضوع ، أو لم يحسن رسم بعض مكوناته ، لذلك فإن علينا أن نمتدح هذه النقطة فى الطفل ونعلم أنه طفل موهوب ثم نقوم بتوجهيه التوجيه السليم من غير لوم أو توبيخ لهذا الطفل ، فلا بد من تقدير عمل الطفل ، وتقدير عقليته وطريقة تفكيره ، وعدم السخرية منها ، ثم توجيهها الوجهة السليمة .

هذا بخصوص الطفل قبل سن المراهقة ، فإذا ما وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة احتاج منا إلى تقدير أكثر ، وطريقة أكثر حساسية فى التعامل ، فالطفل فى هذه المرحلة ونتيجة لبعض التغيرات الفسيولوجية التى تطرأ عليه ، يشعر بأنه أصبح رجلاً ويريد أن يتعامل معه الكبار على هذا الأساس .

فهذا المراهق إذا أخطأ خطأً ما لا ينبغى أن نضرب على هذا الوتر الحساس فنتهم عقله بالقصور أو نسخر من قدراته وإمكاناته ، فهذا أمر شديد الخطورة ، لكن يجب علينا أن نحترم عقليته وطريقة تفكيره ، ونشركه معنا فى الرأى ، ونشعره بأنه فرد فى الأسرة له احترامه ، ولآرائه كل التقدير ، فأخطاء المراهق يجب التعامل معها بحذر ، ويجب عدم تسفيه آرائه أو السخرية منها ، مع العلم بأن الطفل فى مرحلة المراهقة يصبح أكثر حساسية من مراحله السابقه ، ومع هذا فهو أكثر إبداعاً ، فهذا السن تظهر فيه الإبداعات ، وتشرأب فيه الهوايات ، وتستبان الميول والرغبات ، ويجب على الآباء معاونة الطفل المراهق على حسن التعامل مع البيئة فى الظروف الجديدة التى تعتريه ، وأن يعداه للاعتماد على النفس ، وهذا يكون بالتشجيع ، وبتكليفه ببعض الأعمال المنزلية التى يستطيع القيام بها .

• رشوة الطفل :

وهى أن يتعود الوالدان وبصفة دائمة رشوة الطفل على أعماله المرغوبة والتى يريدان منه أن يفعلها ، مثل أن تقول له الأم مثلاً : « أنت لو بطلت شقاوة سأعطيك شيكولاته ... » إن استخدام هذا الأسلوب بصفة مستمرة فيه خطورة بالغة على الطفل ، ولا يصح أن يكون أسلوباً لعلاج أخطاء الطفل ، نعم إنه قد يكون مريحاً للوالدين بصفة مؤقته لكن هذا الأسلوب يعوّد الطفل على ألاَّ يعمل الصواب إلا إذا كانت هناك مكافأة منتظرة ، وهذا شيء خطير ، ينبغى على الطفل أن يتعلم أنه يجب أن يفعل الصواب ويبتعد عن الخطأ ليس انتظاراً للمكافأة ولا هروباً من العقاب وإنما لأن هذا هو الواجب أن يفعله حتى يصبح فرداً صالحاً فى المجتمع ، حتى يقوم بأداء ما عليه من حقوق وواجبات ، وهناك أمر آخر فى غاية الأهمية، وهو أن الآباء غالباً ما ينسون وعودهم للأبناء، أو لا يقدرون على الوفاء بها نتيجة لظروف معينة ، وهذا أمر خطير يفهمه

الأبناء ، ويدركون أن آباءهم يكذبون عليهم أو يخدعونهم ، ومن ثمَّ يشب الأبناء على هذا السلوك السيء ، ويعتبرون الكذب أو الخديعة أمراً عادياً ، وقد حذر الرسول ﷺ من الكذب على الأبناء ، ويقول عبد الله بن عامر : « كان رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال : فذهبت أخرج لألعب ، فقالت أمي : يا عبد الله تعال أعطك، **فقال رسول الله ﷺ : « ماذا أردت أن تعطيه؟ »**، قالت : أعطيه تمراً، قال: **«أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة »** [١] .

فالإسلام يقرر أن الكذب على الصغار مثل الكذب على الكبار سواء بسواء ، فهو إثم يستحق العقاب ، بل ربما كان أشد خطراً لأنه يمنح الطفل السلوك السيء ويعوّده عليه ، وذلك حين يجد القدوة السيئة من الأب أو الأم ، أو الكبار بصفة عامة .

لا مانع من مكافأة الطفل على بعض أعماله لكن الخطورة في كون تعليق العمل على المكافأة بحيث يشترط الطفل أن لا يعمل ما يرضى الوالدين إلا إذا حصل على كذا وكذا ، هذا أمر خطير ، فبالإضافة لما سبق بيانه فإنه يعوّد الطفل على عدم طاعة الوالدين إلا إذا حصل على مكافأة ، والمفروض أن يفهم أن طاعة والديه في المعروف واجبة ، وأنهما ذوا فضل عظيم عليه ، وأن لا ينتظر من طاعتهما أو تلبية رغباتهما وحاجتهما مكافأة أو إحساناً ، وأن يلقنه الوالدان منذ الصغر ما لقنه لقمان الحكيم لابنه الصغير ، وما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥٢٧٥) حديث حسن (١٣١٩) صحيح الجامع .

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان : ١٤ ، ١٧] .

• أخطاء الأم مع الطفل :

لاشك أن أكثر شكاوى الأمهات من الأطفال الصغار تدور حول مشكلة رفض الطفل للطعام ، مما يدفع الأم لبذل المساعى والجهود المضنية لدفع الطفل دفعاً وبكل وسيلة نحو الطعام ، فتقع الأم حينئذ فى أخطاء جسيمة ، هذه الأخطاء لا تفلح فى معالجة هذه المسألة ، بل على العكس تعزز من موقف الطفل ، وتزيده عناداً وإصراراً وتمسكاً بمبدئه ، ويناقش الدكتور / دجلاس توم هذه المشكلة فى « مشكلات الأطفال اليومية » فيقول : « ... ولا نود بالطبع أن نحط من قيمة الإقبال على الطعام كدليل مفيد نتعرف منه على صحة الطفل العامة ، ومع هذا فمن الواجب أن ندرك أنه من الصعوبة بمكان أن نضع المعايير الدقيقة لغذاء الطفل ، لأنه لا يلزم أن يكون كل الأطفال من وزن واحد على طول واحد فى سن معينة ، ولن ينجم أى ضرر ، إذا نحن أخفقنا فى الوصول بهم إلى ما نسميه « المعايير » أو إذا هم رفضوا فى بعض الأحايين وجبة أو اثنتين من وجبات الطعام ، فإذا عرفنا أن بالطفل نزعات فطرية نحو القوة والظهور ، وأن الأساليب التى يشبع فيها تلك الميول ساذجة ومحدودة ، لم يكن مما يبعث على العجب أن نرى الصغار يلجؤون إلى هذه الطرق لفرض أنفسهم علينا ، وقد يغيب عن الأم تماماً أن ابنها الصغير عندما يأكل أو يرفض الأكل مثلاً يستطيع بذلك أن يسيطر على جانب كبير من نشاطها ، كأن يجعلها تجلس لإطعامه ، أو تقص عليه الأقاصيص ، أو تغريه وترشوه أو تهدده ، بل أن تدمع عيناها حنقاً وغضباً ، وقد تخفى على الطفل العوامل التى تدفعه إلى سلوكه قدر خفاء العمليات الفسيولوجية التى يهضم بها غذاؤه ، لكنه مع

هذا يشعر بقوته وسطوته ، ويحس بما تبعثه هذه القوة فى نفسه من الرضا ، يماثل ذلك الرضا الذى يشعر به فى راحته عقب قيلولة هانئة أو أكلة طيبة .

هناك إذن خطأ عظيم تتعرض له الأم ، ويؤدى بها إلى الإخفاق فى تحقيق غايتها ، إذاً هى بدأت الوجبة بتذكير أن عليه أن يتناول غذاءه لا أن يتركه ويذهب بدونه ، ذلك لأنه يكون قد كشف من قبل أنه ليس فى الواقع مرغماً على قبول أحد الأمرين ، إذ أنه يعرف أن التهديد على الدوام يسبق الإلحاح والرشوة ، وهو لهذا يجد نفسه فى موقف يخوله حق الإختيار عندما يشاء .

هذا لأن الأم إذا بالغت فى حنانها وأسرفت فى قلقها واندفعت دائماً إلى قبول أيسر الحلول ، يضاف إلى ذلك أن الطفل يشعر بالأمن وقوة المركز ، لأن التجارب المتوالية علمته أنها لا تذهب بعيداً فى تهديدها بالعقاب ، بل إنها سوف تجلس آخر الأمر لإطعامه ، غير أن لذة الموقف عنده لا تقف غالباً عند هذا الحد ، لأن شدة رعاية الأم وهول اضطرابها يدفعها إلى التحدث عن الصعاب التى تلقاها فى تغذية الطفل مع الجيران والصحاب ومع بقية أفراد الأسرة ، وهكذا يصر الطفل على نيل ما يبغيه من ارتياح إذ يظفر بالحصول على أكبر جانب من مدار الحديث فى الأسرة »[١] .

فمن الواضح أن الطفل يسعد بإلحاح الأم عليه بتناول الطعام ، ويشعر حينئذ بتعزيز مركزه الاجتماعى فى الأسرة ، وإن كانت هذه مشاعر خفية لا يدركها الطفل كما ندركها ، لكنه وبطبيعته ينساق وراءها ، ومن ثم يستمر فى رفضه للطعام ليصبح مركزاً للاهتمام ، فعلى الأم أن تدرك هذه الحقيقة ثم عليها أن تتعامل مع الطفل بأسلوب مختلف ، فتضع الطعام ولا تلح عليه فى

---

(١) « مشكلات الأطفال اليومية » د / دجلاس توم ، ترجمة د / اسحق رمزى .

الأكل أو عدمه ، ولتكن وجبات الأكل منتظمةً ، ويوضع الأكل فترة مناسبة فإن لم يأكل الطفل يؤخذ الأكل ولا يترك للطفل يعبث به ، أو يتخذه وسيلة للعب ، إذن قلق الأمهات تجاه أكل الأولاد هذا القلق يشكل عائقاً أمام الطفل فى قبول أنواع معينة من الطعام ، وهى تلك الأنواع التى يصر الوالدان أو الأم خصوصاً على أن يتناولها الطفل ، أما التعامل مع الطفل بشكل طبيعى بخصوص موضوع الأكل وعدم القلق إزاءه أو عدم إبداء الاهتمام الواسع والرغبة الأكيدة فى أكل الطفل يجعل الطفل أشد إقبالاً على الطعام .

● معاقبة الطفل على أخطاء لا يدركها :

الطفل قد يأتى كثيراً مما لا يروق للوالدين ، ولكن هل كل ما يفعله الطفل – مما نعتبره نحن أخطاء – يستحق العلاج ؟ ، وإذا كان يستحق العلاج فهل يستحق العقاب ؟! .

وللإجابة على السؤال الأول نقول : إن هناك الكثير من أفعال الطفل أفعال طبيعية ، ولا تحتاج إلى علاج أو تقوم بقدر كبير ، فمثلاً « شقاوة » الطفل أمر طبيعى ، فالطفل لديه طاقة كبيرة ، ولابد أن يستنفذها فى اللعب ، وأنت تطلب من الطفل أن يجلس صامتاً وأن يكفَ عن اللعب هذا أمر غير صحيح ، لكن من الممكن أن نوجه لعب الطفل نحو ألعاب أقل ضوضاء وأقل تخريباً وتحطيماً ، مع اعترافنا أن الطفل لديه رغبة فى التخريب والتحطيم ولابد أن يشبع هذه الرغبة فى التحطيم ، لذلك وجب علينا أن نعطيه أشياء غير مهمة ونحن نعلم أنه سوف يقوم بتحطيمها ، ونحاول أن نعلمه الإستفادة من حطام هذه الأشياء ، وأن نعلمه أن هناك أشياء خطيرة يجب الحذر منها وعدم الاقتراب منها أو اللعب بها .

فمن يعتبر أن لعب الطفل وعبثه وتحطيمه لبعض الأشياء من يعتبر هذه

أخطاء للطفل غير مدرك لطبيعة هذا الطفل ، لأن هذه الأشياء طبيعية ، بل إن الطفل الساكن الهادى قليل النشاط هو الطفل الغير طبيعى والذى يحتاج إلى علاج .

كما أن هناك ما يقع من الطفل ويعتبر من الأخطاء الكبيرة ، لكنه لا يعاقب عليه ولكن يعالج ، ومثال ذلك : تبول الطفل لا إرادياً ليلاً ، بعض الأطفال يستمر فى التبول الليلى لا إرادياً حتى سن متأخرة من سنوات الطفولة ، فتندفع الأم إلى عقابه ، أو يندفع الأب إلى عقابه ، وأحياناً يعيرانه وسط إخوته بأنه لا يزال يتبول ليلاً هو نائم ، وهذا الأمر فى غاية الخطورة لأنه لا يحل المشكلة ، لكنه يزيد الأمر تعقيداً ، ويساعد فى دفع نفسية الطفل نحو الأسوأ ، فالطفل الذى يبلل فراشه ليلاً هو غالباً طفل غير منسجم مع نفسه ، ويعانى من مشكلات نفسية ، أو أزمات تحتاج إلى علاج نفسى ، وعقاب الطفل أو معايرته على هذا الأمر يزيد الأمر سوءً ، ولكن الواجب على الوالدين إنْ وجدا طفلهما قد بلغ الخامسة من عمره ولا يزال يبلل فراشه ليلاً أن يذهبا به إلى الطبيب المختص، فيجرى له الفحوصات اللازمة ، فإن تم التأكد من سلامته الصحية ، فليذهب به الوالدان إلى الطبيب النفسى ليعالجه ، والأمر لن يستغرق مدة طويلة ، ومما يفيد فى علاج هذه الحالات رعاية الطفل وعدم تعنيفه أو عقابه على هذا الأمر ، ومنحه الثقه بالنفس ، ثم اتباع إرشادات الطبيب الأخرى والتى تخص نوعية الطعام والشراب المقدم إليه ومواعيده ... إلخ .

وللإجابة على السؤال الثانى نقول : إن هناك أخطاء يفعلها الطفل وهذه الأخطاء مع الاعتراف بها فإن علاجها لا يتم عن طريق عقاب الطفل ، لسبب هام وهو عدم استطاعة الطفل التحكم فى مشاعره ، وعلى سبيل المثال صفة «الغيرة » كصفة قد تؤدى إلى إضرار بالغير أمر يحتاج إلى علاج ، ولكن غيرة الطفل من أخيه الأصغر أمر طبيعى ، فإذا حاول الطفل إيذاء أخيه الأصغر بدافع

نحو إيذاء الصغير لا شعورياً ، وعقابنا للطفل على غيرته يدفعه للشعور بكراهيتنا وبأننا نفضل أخاه الأصغر عليه ، ونحبه أكثر منه .

أما العلاج الصحيح فى مثل هذه الحالة ، فيكون بأن نكلم الطفل بهدوء ، ونفهمه أن أخاه الأصغر هذا ضعيف ، ويحتاج منا إلى العطف والحب لأنه لا يستطيع أن يقوم بأعبائه الشخصية ، وأن نمهد للطفل قبل مولد أخيه الأصغر تمهيداً يجعله على استعداد لاستقبال هذا المولود ، ولا يفاجأ به ، ثم لا يجعلنا هذا المولود الأصغر نلتفت إليه كلية ونسهو عن أخيه الأكبر ولا نوليه الإهتمام والرعاية التى كان يشعر بها ، لأن هذا الأمر هو الذى يدفع الطفل نحو الغيرة بدرجة أكبر ، ومن ثم يدفعه إلى إيذاء أخيه الأصغر ، والذى بمجيئه صرفت إليه الأنظار ، وهفت إليه القلوب ، واشرأبت إليه الأعناق .

ومن الأشياء التى قد يعتبرها الوالدان خطأ كذب الطفل فى سن مبكرة ، قبل سن الخامسة مثلاً ، فالطفل الثالثة أو الرابعة قد يحدثك عن أشياء غير حقيقة ويحكيها لك على أنها أمور واقعية ، وقد يقول لك إننى ذهبت اليوم إلى المكان الفلانى مثلاً ، وهو لم يخرج من المنزل .

الطفل دون الخامسة من عمره لا يعرف الكذب ، وخياله واسع فى هذه الفترة ، وقد يتخيل أشياء كثيرة ويعتبرها حقائق ، فيخبر بها من حوله ، وقد يرى حلماً فيظنه حقيقة ويحدث به كل من يقابله ... إلخ .

وبعد سن السادسة تقريباً يبدأ الطفل فى تفهم مثل هذه الأمور ، ويعرف الكذب ، ويستطيع تمييز قدر كبير جداً من الحقائق التى كان يغفل عنها ولا يدركها ، لكن هذا الأمر لا يجعلنا نكذب أمام الأبناء طالما أنهم لا يدركون هذا الأمر ... كلا ... فأنت حين تكذب أمام ابنك ، وتخبر بأشياء غير حقيقية أو مخالفة لما يراه أمامه ، أنت تعوده الكذب ، فأنت له قدوة ، فالطفل يكذب فى

سنواته الأولى المبكرة وهو معذور ، لكنه يدرك حين يكذب الكبار أنهم يكذبون وأن ما يقولونه مخالف للواقع ، فلا يقول مثلاً الوالد لابنه :

« أخبر فلاناً أنى لست موجوداً » ، ثم يقول إن الابن لن يفهم ، كلا إنه يضرب لابنه أسوأ المثل فى الكذب ، لابد أن يفهم الطفل خطأ هذا الأمر ، ونعوده على الصدق حتى إذا كبر وفهم كان صادقاً .

● التأثر بالماضى عند معالجة أخطاء الطفل :

من أكثر الأخطاء شيوعاً عند الآباء تأثرهم بماضيهم عند معالجة أخطاء أبنائهم ، ونوضح الأمر أكثر بذكر قصة السيد ع . ع . حيث نشأ هذا الرجل فى بيت يسير بنظام صارم ، وكان والده قاسياً فى معاملته له ، فكان لا يقبل النقاش ، وكانت أوامره صارمة لا يستطيع أحد مخالفتها ، وكان السيد ع . ع وهو طفل يتأذى من هذا الأمر كثيراً ، ويتمنى الخلاص من هذا الجو النفسى السيء ، وكبر شيئاً فشيئاً وصورة والده ومعاملته لم تتغير ، وتزوج السيد ع . ع وكان أمام ناظره صورة والده الصارمة والرعب الذى كان يسببه له ، فأقسم فى نفسه أن يعامل أبناءه بكل الرفق والحب حتى يعوضهم ما حرِم منه من الحب والحنان ، فكان لا يرفض طلباً لأبنائه ، وكان يستجيب لضغوطهم كل مرة ، وكان هذا التدلل للأولاد بمثابة مفسدة لأخلاقهم ، وتعود الأبناء على تنفيذ طلباتهم مهما كانت هذه الطلبات ، وهذا أمر خطير ، لأنه ينبأ بمستقبل خطير لهؤلاء الأبناء ، فقد نشأوا على التواكل والاعتماد على الغير ، وسوف ينهار مثل هؤلاء الأبناء عند أول مشكلة تقابلهم تستعصى على الحل ، ولا يتحقق منها ما يريدون ، ومن المعلوم أن التدليل الزائد للطفل خطر كبير على مستقبله ، وعلى أخلاقه ، ولابد أن يعرف الطفل أن كل ما يتمناه فليس من الضرورى يحصل عليه ، إن عليه أن يعلم أنه يمكنه الحصول على أشياء ولا يمكنه الحصول على أشياء أخرى ، فلا تحدث له احباطات فى الحياة فيما بعد

إذا لم يحصل على شيء ما ، وإنه على أى من الوالدين أن يتخلى عن ماضيه عند معالجة أخطاء أبناءه ، فلا يؤثر هذا الماضى على طريقة معاملته لأبناءه إلا أن يكون تأثيراً إيجابياً ، وبتعبير أكثر دقة أن يتخلى عن العقد النفسية والتى قد تكون مترسبة فى النفس نتيجة لما حدث له وهو صغير ، إن التأثير بعُقَد الماضى قد يجعل الوالد لا يشعر بقيمة الخطأ الذى وقع فيه الابن ، ومن ثَمَّ لا يعالجه العلاج المناسب ، أو قد يجعله يبالغ فى تقدير قيمة هذا الخطأ ، ومن ثم التشديد فى العقوبة بما لا يسترعيه الموقف ، وبما يعود بالأثر السلبى على الأبناء ، إن معالجة الخطأ تحتاج إلى العدل والإنصاف ، وهذا العدل يتطلب التخلى عن الهوى ، والهوى قد ينتج عند أحد الوالدين من التأثر بعُقد الماضى، والعدل فى معالجة الخطأ يستدعى أيضاً العلاج المناسب ، ومعنى المناسب أى العقاب على قدر الخطأ ، ليس أقل فيستهين الطفل بالعقاب، وليس أكثر فيشعر الطفل بالظلم ، وقد قال ﷺ : « **واتقوا الله واعدلوا فى أولادكم** » [(١)] .

• مقارنة الطفل بغيره :

قد يلجأ الوالدان أحياناً إلى مقارنة الطفل بغيره فى السلوك ، وذلك بغية تصحيح أخطاء هذا الطفل ، على سبيل المثال قد تقول الأم لابنها أحمد : «يا أحمد إن أخاك عمر أفضل منك وهو يقوم بمذاكرة دروسه أولاً بأول ، وهو أفضل منك لهذا ، لماذا لا تكون مثله ؟!! » .

وهذه طريقة غير صحيحة فى العلاج ، وهى تجعل الطفل يغار من أخيه الذى يعتبره الوالدان أفضل منه ، وتترك لدى هذا الطفل انطباعاً بأن الوالدين يحبان أخاه أكثر منه ، ويفضلان عليه ، ثم يقوم بتفسير كل سلوك نحو هذا

---

(١) رواه البخارى ومسلم عند النعمان بن البشير (١٠٧) صحيح الجامع .

الأخ بأنه تفضيل عليه ، وتترسخ لديه فكرة حب الوالدين لأخيه ، وتفضيلهما له عليه ، فيكره أخاه هذا وربما دبَّرَ له المكايد .

والصواب إذا أردنا تشجيع الطفل على المذاكرة أو معالجة خطأ ما وقع فيه الطفل ألاَّ نقارنه بغيره فى السلوك ، بل نقوم بمقارنة الطفل بنفسه فى أوقات مختلفة ، فمثلاً نقول له : « يا أحمد لقد كنت بالأمس أفضل منك اليوم ، لقد كنت كذا وكذا ، ونريد منك أن تكون هكذا دائماً ودع عنك الكسل والإهمال ... » وهكذا نبث فيه الثقة بالنفس ، ونبين له أنه على درجة جيدة لكنه يتكاسل ولولا هذا التكاسل لأصبح على ما يرام ، ونشجعه على العودة لأوقاته الحسنة .

ازدواج المعايير واختلاف الأب والأم في طريقة العقاب

قد يقوم الأب أو الأم بعقاب الطفل على أمر ما ، ثم يقومان بغض الطرف عنه عند فعل نفس الشيء أو ما يشابهه في مرة أخرى ، أو يعاقبان الابن على أمر ما خطأ ثم يعمل نفس العمل أو نفس الخطأ أخوه فلا يعاقب بمثل هذا العقاب أو لا يعاقب نهائياً .

إن هذا الأمور تجعل الطفل يقع في الحيرة ، لماذا لم يعاقب على نفس الخطأ في المرة الثانية ، ولماذا عوقب في المرة الأولى ؟! .

هل هذا خطأ فعلاً أم لا ؟! الطفل يقع في حيرة مع نفسه وقد لا يجرأ على سؤال الوالدين عن السبب ، فتمتد حيرته حتى الكبر ، ويشعر بالظلم إن عوقبت على خطأ معين ، ولم يُعاقب أخوه على نفس الخطأ حين يقترفه .

إن ازدواجية المعايير والقيم أمر خطير ، ويبعث في النفس الحيرة والقلق والاضطراب ، كذلك قد يختلف الوالدان أمام أولادهما حول معايير الصواب والخطأ فيقوم الأب مثلاً بعقاب الطفل على أمر معين وتعترض الأم على هذا العقاب لعدم اقتناعها بأن ذلك الأمر خطأ ، هذا الأمر يوقع الأبناء في حيرة وقلق وقد يفقدهم الثقة في الوالدين ، لذلك وجب على الوالدين أن يتفقا على معايير ثابتة للصواب والخطأ ، وأن لا يختلفا في هذا الأمر أمام الأبناء .

• معاقبة الطفل بمنع المصروف :

قد يلجأ الوالدان لمنع المصروف عن الطفل كنوع من أنواع العقاب ليرتدع عما لا يعجبهما ، أو عما يفعل من أخطاء ، ومنع المصروف عن الطفل عقاب جائر وغير سليم ، لأن منع المصروف عن الطفل قد يلجؤه لسلوكيات شاذة أو

منحرفة ، كالسرقة مثلاً ، لأن إعطاء مصروف ومصروف مناسب أمر فى غاية الأهمية بالنسبة للطفل ، فالطفل يعيش وسط مجتمع مثله من الأطفال ، وهؤلاء الأطفال جميعهم لديهم المصروف المناسب وأما أن يفتقد المصروف كلية يشعر بالحرمان فى وسط هؤلاء الأطفال ، ويترك ذلك فى نفسه أثراً سيئاً ، وقد وجد أن حالات كثيرة من حالات سرقة الأطفال كان الدافع من وراءها افتقاد الطفل للمصروف أو للمصروف المناسب ، مما كان يدفع الطفل إلى السرقة ليبين لأقرانه أنه مثلهم يستطيع شراء ما يشترون مثله ، ونقول المصروف المناسب لأن الطفل الذى يعيش وسط محيط معين لابد أن يكون مثله ، فمثلاً إذا كان هناك طفل فقير ينتسب لمدرسة معظم أولادها أو كلهم من ميسورى الحال ، فإن هذا الطفل سيشعر بالخجل وسط هؤلاء الأطفال للفارق فى المستوى المادى بينه وبينهم ، فينبغى على الطفل أن يوضع فى المحيط المقارب له وأن يعطى المصروف المناسب لا القليل ولا الكثير عن الحد المطلوب .

● عقاب الطفل دون إبداء الأسباب :

قد يقوم الأب أو الأم بمعاقبة الابن على أمر معين ، ثم لا يقومان بتوضيح الخطأ له ، فيقع الطفل فى حيرة ، ولا يفهم سبب العقاب ، ولا يكفى أن نقول للطفل أن هذا خطأ ، ولكن علينا أن نبين له على قدر فهمه لماذا هذا الفعل الذى فعله خطأ ، ونبين له العواقب المترتبة على فعله ، وإن عليه أن لا يعود لمثل هذا الفعل ليتجنب تلك العواقب السيئة .

بهذا سوف يمتنع الطفل عن اقتناع ، ولا يظن الوالدان أن الطفل لن يعود لمثل هذا الخطأ مرة ثانية ، كلا قد يعود الطفل أكثر من مرة لمثل هذا الخطأ برغم علمه بأنه خطأ ، لكنه فى هذه الحالة يحاول أن يمنع نفسه من هذا الخطأ ، ذلك لأن الطفل لديه رغبات وهذه الرغبات قوية تدفعه لفعل أشياء كثيرة ، كالتكسير ، والتحطيم ، وضرب إخوته الصغار ، والعبث فى الأشياء

الخاصة بالغير ... إلخ ... وهو مدفوع فى ذلك كله بحب الاستطلاع ، واستكشاف ما حوله ، وهذا أمر طبيعى فى كل الأطفال ، وهذه الرغبة فى الاستشكاف نقل وتهذيب بمرور الوقت ، ويستطيع الطفل التحكم فى هذه الرغبات خصوصاً ما يختص منها بالتخريب والعبث بأدوات الغير ، والاقتراب من الأشياء الخطيرة ، ويساعد فى هذا كثيراً فهم الطفل خطورة هذه الأشياء من قبل الكبار وخاصة الوالدين .

أخطاؤنا في علاج أخطاء الزوجات

• افتراض المثالية فى الزوجة :

من الأخطاء التى يقع فيها كثير من الأزواج عند معالجة أخطاء زوجاتهم أنهم يفترضون المثالية فى الزوجة ، فالزوج يريد من زوجته أن تقوم بواجبها كما ينبغى ، وأن لا تقصر فى خدمته لأى سبب من الأسباب ، وأن تقوم برعاية الأولاد حق الرعاية ، وتقوم بأعمال المنزل كاملة ، وأن تراعى فى ذلك كله ، أن تبدو فى أحسن صورة دائماً ، وأن لا تتأخر فى مواعيد الطعام ونحوه... إلخ .

ولا شك أن القيام بتلك الأمور مطلوب من الزوجة ، لكن افتراض أن تفعل الزوجة كل هذه الأمور بالدقة المطلوبة ، ومستوى الأداء المرتفع ، وأن لا تقصر فى شىء ، هذا الافتراض هو من الأمور المثالية ، والتى لا يمكن أن تكون .

فلابد أن يعترى المرأة ضعف أو إرهاق أو تقصير فى أى ناحية من النواحى المشار إليها آنفاً ، وليس معنى هذا أنها تستحق اللوم ، إلا إذا تكررت الأخطاء ، وأصبح الإهمال طابعاً مميزاً لسلوكياتها .

أما أن ينفعل الزوج نتيجة لأى خطأ من الزوجة ، ويلومها أو يوبخها أو يعاقبها بأساليب أخرى ، فهذا ليس من الإنصاف ، لابد أن ندرك حقيقة تربوية هامة ، وهى أن وجود إنسان بلا عيوب أمر مستحيل ، سواء كانت هذه العيوب سلوكية أو عيوباً فى الطباع والشخصية ، وكفى بالمرء نبلاً أن تُعد معايبه .

والتقصير أمر وارد من كل إنسان ، وطالما أنه عارض وليس متكرراً ، وطالما أن الإنسان يجاهد قدر طاقته فى تحصيل المطلوب فإنه ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[البقرة : ٢٨٦] .

يقول : دايل كارنجى فى « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » :